المحور الثالث: النظريات الجيوسياسية –الجزء 01

أثار ظهور الجيوبوليتيك اهتمام عدد من العلماء والمفكرين والجامعيين والعسكريين والسياسيين في مختلف أنحاء العالم لاسيما في نهاية القرن 19 وبداية القرن 20، ولكن بوجهات نظر مختلفة، وفي عدد من الأحيان تكون متناقضة، قمن من المدرسة الألمانية إلى المدارس الأنجلوساكسونية ثم المدرسة الفرنسية والروسية، والصينة ومن بعد المدارس المختلفة الأخرى تختلف الرؤى والتصورات حول ماهية الجيوبوليتيك، وكيف يمكن لكل فاعل في العالم استغلال هذا العلم والأداة لصالحه من أجل النفوذ والسيطرة والريادة والزعامة، أو اختصارا من أجل القوة عموما. لكن يبقى الاتفاق من ناحية أخرى حول أهمية المفهوم في تحليل العلاقات الدولية وتفسير الظواهر التي تعرفها اليوم.

أولا: المدرسة الألمانية. تمركزت الآراء الجيوبوليتيكية الألمانية حول عدد من الموضوعات السياسية، أهمها فكرة الدولة العضوية، والمجال الحيوي، والحد العضوي القابل للتمدد والانكماش. وكان محور تفكير معهد ميونيخ أن قوة منطقة معينة أو ضعفها مرتبطة بموقعها وطبيعة حدودها.

1– نظرية المجال الحيوي (فريديريك راتزل 1904/1844). يذهب راتزل في تفسير الجيوبوليتيك إلى أن الدولة، التي تعد الموضوع الأساسي لأعمال وميدان الجيوبوليتيك، مثل الكائن الحي الذي يولد، ينمو ويكبر إلى غاية وصوله إلى مداه في النمو، ثم تتلاشى قوته ويموت. ولكي تحيا الدولة وتنمو بالنسبة لراتزل، يجب أن تتنفس بالتوسع خارج إقليمها، وهو بذلك يوصي صانع القرار في ألمانيا بأن قوتها العالمية تستمدها من التمدد والتوسع الجغرافي في المناطق الحيوية، وهو المفهوم الذي وضعه راتزل: المجال الحيوي، وهو يعد بمثابة الفضاء المغذي للنمو، واستنادا لذلك وضع راتزل القوانين السبعة للتوسع، كما يلي:

1. أن رقعة الدولة تنمو بنمو الحضارة أو الثقافة الخاصة بالدولة (امتداد الدول وتوسعها يتمدد بمقدار التطور الثقافي الحاصل فيها).
2. يستمر نمو الدولة إلى أن تصل إلى مرحلة الضم بإضافة وحدات أخرى (توسيع الدولة في المجال المكاني يصاحبه الأبعاد الأخرى المشكلة لعناصر قوة الدولة من حيث تطور الاقتصاد كالإنتاج، النشاط التجاري).

3. حدود الدولة هي التي تحميها لابد من الحفاظ عليها (قوة الدولة في خلق نمط جذاب في الخارج مع القدرة على الدعوة لتصدير هذا النموذج).
4. تسعى الدول في نموها إلى امتصاص الأقاليم ذات القيمة السياسية (توسع الدولة على حساب الوحدات السياسية ذات الأهمية الثانوية، بضمها إليها وابتلاعها، مفهوم الحدود يخضع لمنطق الكائن الحي، الذي لا يعرف حدود في النمو، وهو ما يعطي شرعية للتمدد في حدود الوحدات السياسية الثانوية، أو الضعيفة البنيان والأركان، وعندما تحقق الدولة توسعها المكاني في المناطق ذات الأهمية الثانوية).
5. الدافع للتوسع يأتي من الخارج (تحاول الاستيلاء والسيطرة على المناطق الأكثر أهمية بالنسبة لتوسع إمبراطوريتها، من خلال السيطرة على الأنهار والمضائق، والوديان وكل المناطق التي تعتبرها أهمية وحيوية لنمو الدولة التي تملك حضارة سامية تدفعها للتوسع في الرقع الجغرافية، والمجالات الحيوية للحضارات الأدنى، أي أن شرعية التوسع يكون مدفوعا بقوة الحضارة التي تخضع الحضارات الأدنى منها، وهو ما يعني الغطاء الحضاري للسيطرة والهيمنة).
6. الميل العام للتوسع ينتقل من دولة إلى أهرى ثم يتزايد ويشتد (إلحاق المناطق الضعيفة له انعكاس تراكمي، بمعنى كلما ألحقت المناطقة الأقل اهمية زادت الشهية لإلحاق المناطق الأكثر أهمية، أو كما يقال في المثل الفرنسي: "الشهية تأتي مع الأكل").
7. نمو الدولة عملية متلاحقة لنمو سكانها.

وهذا ما يعني أن راتزل يريد تنبيه القادة الألمان لأهمية الجيوبوليتيك للسيطرة على العالم، واكتساب المزيد من القوة، حيث انتقد الحدود الضيقة الأوروبية، لذا كان يدعو إلى أوروبا وطنية/قومية، تكون تحت القيادة الألمانية وبتحالف مع روسيا، لاسيما الشرق الأقصى، حتى تتمكن أوروبا من تجسيد طموحها، وهو ما يفسره ميدانيا حين تحالفت ألمانيا مع اليابان أثناء الحربين العالميتين.

2- النظرية العضوية(رودولف كيلين 1922/1864). انطلق من فكرة أن الدولة كائن عضوي لكنه متطور وليس ثابت، وضبه البناء العضوي لها بالبناء العضوي للكائن الحي، فالأرض بالنسبة للدولة هي الجسد وعاصمتها بمثابة القلب والرئتان، أما الأنهار والطرق وسكك الحديد فهي بمثابة الأوردة والشرايين

للدولة، في حين أن المناطق تعد المصدر الذي يمدها بالمعادن والموارد الأولية اللازمة لنموها، والأفراد داخل الدولة هم الخلايا عند الكائن الحي والعامل المحرك لها.

عرفت أبحاثه باسم 'نظرية الدولة"، وقسم الدراسات المرتبطة بالدولة إلى الموضوعات التالية:

1. السياسة الأرضية/ الجيوبوليتيكا.
2. السياسة الشعبوية/الديمغرافية السياسية.
3. السياسة الاجتماعية/علم الاجتماع السياسي.
4. السياسة الاقتصادية/الاقتصاد السياسي.
5. السياسة الإدارية/ الحكومة السياسية.

اتفق كيلين مع راتزل في أن الهدف النهائي لنمو الدولة هو تحقيق السلطة والقوة، وأوضح أنه في سعيها لذلك لا تتبع القوانين العضوية البسيطة في التوسع فحسب، ولكنها توظف ما لديها من تقنيات حضارية للوصول إلى أهدافها المرجوة، عن طريق القانون الطبيعي الذي يفرض حتمية النمو البيولوجي، ويؤدي بها للنزاع الذي لا ينتهي إلا بمعادلة صفرية، بل بأفول الدولة الأضعف لصالح الدولة الأقوى.

أكد كيلين أن الدولة كيان ديناميكي نمى بشكل طبيعي، وكانت الثقافة هي محرك النمو، فكلما كانت الثقافة أكثر حيوية وثراء، كلما كان لها الحق في توسيع نطاقها او السيطرة على المزيد من الأر اضي. وكان من الطبيعي فقط أن تتوسع الثقافات المتقدمة في أراضي أخرى، فالحدود ليست أحجارا، إنما هي قابلة للتجاوز والتكسير.

3- نظرية المجال الحيوي (كارل هاوسهوفر 1946/1869). يعتبر كارل هاوسهوفر أحد اتباع راتزل، حيث قام بتحليل وتطوير نظريته الجيوبوليتيكية، منطلقا في تحليلاته من فكرة بسيطة مفادها أنه إذا كانت الدول الضعيفة تعمل على الحفاظ على حدودها وتدافع بكل ما أتيت من قوة لبقائها الإقليمي، فإن الدول القوية تسعى بالمقابل لتنمية قدراتها الجغرافية لضمان نموها الطبيعي في مجالها الحيوي، فالحدود بالنسبة إليه غير مقدسة، وإنما هي رهان المعركة من أجل الوجود، وهو ما جعله يطالب ألمانيا بعدم الاعتراف باتفاقية فيرساي لسنة 1919، كما طالب بالوحدة القومية للأمة الألمانية لكسب القوة الضرورية، وهذا ما سوف يعزز لها النمو والارتقاء إلى مصاف القوى الكبرى.

تتلخص عقيدة كارل هاوسهوفر الجيوبوليتيكية في العمل على إقامة حلف قاري يضم برلين- موسكو- طوكيو للرد على الحلف القائم في غرب أوربا والممتد إلى المحيط الأطلسي، ويضم كلمن بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة. وقد تأثر بفكرة الأقاليم الكبرى التي قدمها راتزل، لذلك قدم المبادئ التالية:

1. اعتبر الاتحاد السوفياتي هو بداية آسيا، وحتى تكون ألمانيا في حالة تفاوضية أفضل، يجب أن تتحد دول شرق أوربا تحت زعامة ألمانيا(الطريق إلى قلب العالم)
2. رفض هاوسهوفر شن حرب شاملة ضد الاتحاد السوفياتي، وأعلن أن ذلك سيؤدي إلى هزيمة ألمانيا.
3. قدم مفهوم الأقاليم الكبرى:
   - أمريكا الكبرى تحت زعامة الولايات المتحدة
   - روسيا الكبرى تحت زعامة الاتحاد السوفياتي
   - أورو-إفريقيا تحت زعامة ألمانيا وإيطاليا
   - آسيا الشرقية تحت زعامة اليابان

وفي حالة التوازن لابد أن تتحد الأقاليم الكبرى القديمة في مواجهة الولايات المتحدة.

ثانيا: المدرسة الأنجلو-ساكسونية والأمريكية: تقوم دعائم المدرسة الإنجليزية على القوة البحرية من خلال الهيمنة على البحار والمحيطات.

1- نظرية قلب العالم (هالفورد ماكيندر 1947/1861). يعد ماكيندر من الجغرافيين الأنجليز البارزين، وقد اتسمت أفكاره بالتغير الدائم بحيث تتناسب مع الظروف والمستجدات، وقد قدم مجموعة من الفروض تربط بين الجغرافيا والعلاقات الدولية. ونستطيع أن نضع أفكاره وفق حقب زمنية ثلاثة:

- الفترة الاولى من عام 1904 حتى عام 1919
- الفترة الثانية من عام 1919 حتى عام 1943
- الفترة الثالثة وهي المرحلة الأخيرة التي بدأت منذ عام 1943.

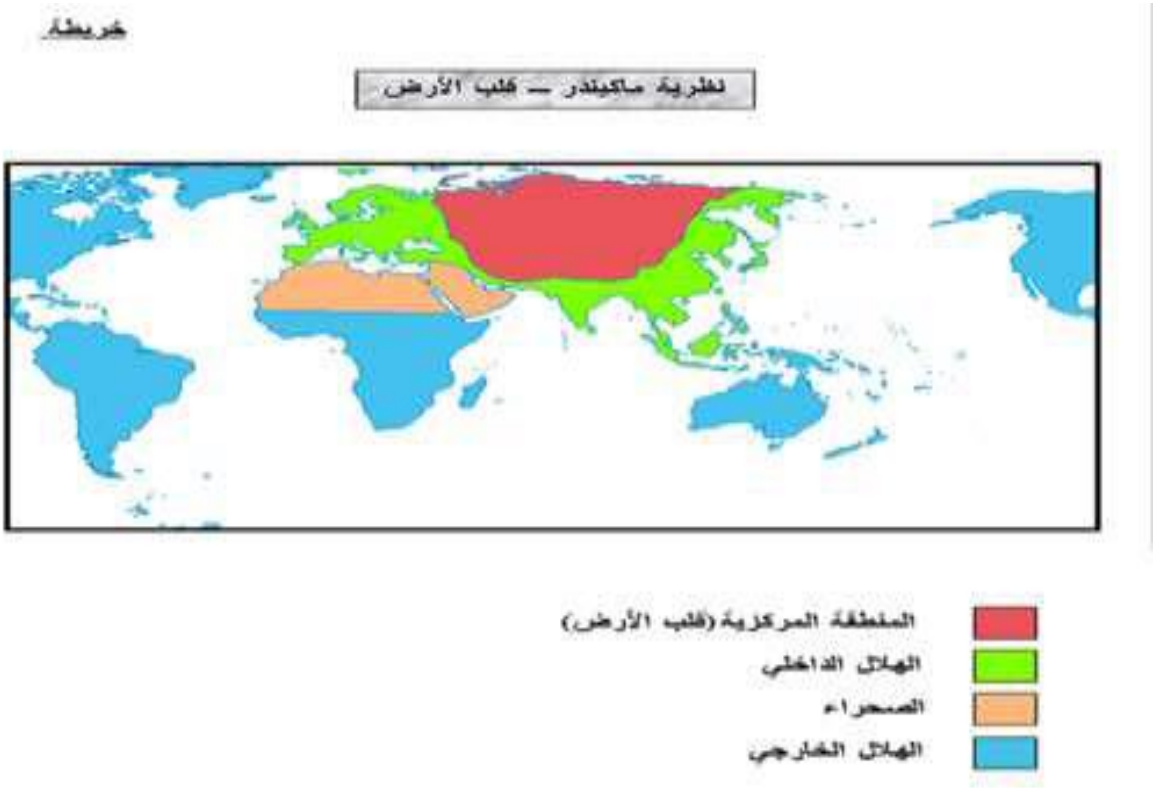

نظرية ماكيندر ـ قلب الأرض

أولا: الفترة الاولى. ربط ماكيندر بين المساحة الكبيرة والموقع المكاني وأعطاها المكانة الأولى في العالم، وقد ارتبط اسم ماكيندر بنظرية قلب العالم heartland وهي النظرية التي شغلت الباحثين الألمان، وعملوا على وضعها في الاستراتيجيات الألمانية لتنفيذها لصالح السيطرة الألمانية.

ويرى ماكيندر من ثنايا نظريته أن الذي صنع تاريخ العالم وسوف يصنعه دائما هم سكان المناطقة الداخلية العظيمة التي تشمل سهول شرق أوروبا وسهول شرق ووسط آسيا، وهذه منطقة يابسة واسعة يحيط بها الجليد من الشمال، كما يحيط بها المياه من بقية الجهات وتبلغ مساحتها ثلاثة أضعاف مساحة قارة امريكا الشمالية.

ثانيا: الفترة الثانية. نبه ماكيندر إلى خطورة أي تحالف بين روسيا وألمانيا او سيطرة إحداهما على الأخرى، وقد قام ماكيندر خلال تلك الفترة بتطوير نظرية قلب العالم، حيث أدمج وسط اوروبا وأعالي نهر الصين والهند من منغوليا والتبت كإضافة ذات قيمة استراتيجية واضعا في اعتباره تغييرات وسائل النقل والتكنولوجيا. وبعد أن قام بتوسيع حدود منطقة القلب لاحظ أن ثلاثة أرباع مساحة الكرة الأرضية مغطاة بالمياه، في حين أن مساحة اليابسة لا تتجاوز ربع إجمالي مساحة العالم، ولاحظ اتصال

البحار ببعضها البعض فأطلق عليها المحيط العالمي. كما لاحظ ان اليابسة تشمل جزئين، الأولى وهي الجزيرة العالمية وتشمل قارة أوروبا وآسيا وإفريقيا مجتمعة أما الباقي فتشغله كل من قارة أمريكا الشمالية والجنوبية وقارة أستراليا، وهي مجرد أجزاء صغيرة تعاني من عيوب استراتيجية، وتستطيع الجزيرة العالمية أن تحارب كل القوى الأخرى. ولا يستطيع احد السيطرة عليها إلا بقوة برية، وعلى هذا الأساس وضع ماكيندر فروض علمية عن قلب العالم، **ان من يحكم شرق أوروبا يحكم منطقة قلب العالم، ومن يحكم قلب العالم يحكم جزيرة العالم (أفرو–أورو–آسيا)، ومن يحكم جزيرة العالم يحكم العالم.**

ثالثا: الفترة الثالثة. في عام 1943 ونتيجة لاعتبارات الحرب العالمية الثانية، ادخل ماكيندر مناطق بحر البلطيق والبحر الأسود في منطقة قلب العالم بعدما تعذر السيطرة عليها من قبل دول بحرية، وارتباطا بتطورات الحرب، فقد استبعد سيبيريا الشرقية من منطقة القلب، كما وصف المحيط الاطلسي على أنه المحيط الأوسط رابطا بذلك أراضي أوروبا الغربية وشمال غرب إفريقيا بمعظم مناطق العمران في الولايات المتحدة وكندا وأمريكا الوسطى والكاريبي في وحدة عضوية جديدة هي وحدة إقليم الأطلسي الشمالي ، ويعطي ماكيندر لهذا الإقليم أهمية مماثلة لأهمية قلب العالم وقوة مواجهة له.

كما أعطى ماكيندر وضعا للإقليم الخالي أو شبه الخالي من السكان والنشاط وهو مثل حلقة الصحاري الشاسعة الرملية أو القطبية في شمال وشرق سيبيريا وشمال كندا وغرب الولايات المتحدة، كحلقة خيالية بين مركزي قلب العالم وأراضي المحيط الاوسط.

لقد قدم ماكيندر مفهوم قلب العالم ليفسر للإمبراطورية البريطانية الحاجة إلى معالجة التوسع الروسي باتجاه الخليج الفارسي، في وقت كانت روسيا تعزز بقوة نظام القوة البرية الممثلة من طرف روسيا أن تكون تقريبا كمحرك للقوة البحرية الممثلة من طرف الإمبراطورية البريطانية، وهدا يمنح مزايا حاسمة في جزيرة العالم. فقام ماكيندر بتطوير نظرية قلب العالم الذي يعتبر محور العالم وتحديدا منطقة أوراسيا، والتي تشمل الاتحاد السوفياتي سابقا إضافة إلى سيبيريا والهيمالايا وجنوب شرق آسيا.

حسب ماكيندر من يسيطر على أوروبا الشرقية يسيطر على أوروبا الوسطى ومن يسيطر على أوروبا الوسطى يسيطر على جزيرة العالم، ومن يسيطر على جزيرة العالم يسيطر على العالم.

انتهى ماكيندر إلى فرضياته العلمية التي تدور فحواها حول ما يلي:

من يحكم شرق أوروبا يحكم قلب العالم

من يحكم قلب العالم يحكم الجزيرة العالمية

ومن يحكم الجزيرة العالمية يحكم العالم.

2- نظرية حوافي الأرض(نيكولاس سبيكمان 1934/1893).

خريطة

نظرية سبيكمان - الهامش القاري

قدم سبيكمان نظرية الريملاند في مؤلفه جغرافية السلام، وأشار فيه إلى أنه من يسيطر على الريملاند (الإطار –الحافة) يسيطر على أوراسيا، ومن يسيطر على أوراسيا يسيطر على مصادر العالم. وقد تخوف سبيكمان من سيطرة ألمانيا على القارة الاوروبية، ومن ثم على الهرتلاند الذي يمهد الطريق للسيطرة العالمية، لهذا كان هدفه التطبيقي أن يكون هناك تحالف بين بريطانيا وأمريكا كقوة بحرية، والاتحاد السوفيتي كقوة برية لمنع ألمانيا من تنفيذ مخططها العالمي.

ورأى سبيكمان في الهلال الهامشي للريملاند أنه مفتاح السياسة العالمية، ولهذا سمى هذه الأراضي الحدودية بالريملاند أو الحافة، الذي يتمتع بعدد كبير من السكان ومصادر ثروة غنية، وإلى استخدام البحر كخطوط حركة اساسية للتجارة والحرب، فهي منطقة تتمتع باحتياطات بشرية- صناعية وزراعية أكثر من قلب العالم/الهارتلاند، التي لا تتمتع حسبه بأي مواصفات تؤهلها للقيادة(أغليه يقع في مناطق متجمدة أو صحراوية تفتقر للموارد الطبيعية الطاقوية).

لقد درس سبيكمان وتفحص بدقة آراء ماكيندر، فرأى ان قلب العالم/الهارتلاند حسب رأي ماكيندر يحتل إقليم جغرافي لا يتمتع بأي صفات تؤهله لقيادة العالم، فقد كان حسب سبيكمان قلبا ميتا لا ينبض بالحياة، حيث يطل من الشمال على مياه متجمدة ويقع جزء كبير منه في المنطقة القطبية، ثم منطقة الغابات الصنوبرية، كما يتكون جزء كبير آخر منه من صحاري حارة جرداء، مما يعني أن موارده الزراعية تكون منخفضة. وما هو موجود من موارد متحركة أو معادن كالحديد متركزة في روسيا الأوربية وليس سيبيريا، وأن هذه الأخيرة هي منطقة تخلخل سكاني، وبذلك اعتقد سبيكمان أن مركز الاتحاد السوفياتي سيضعف في وقت ما إذا ما تقدمت كلمن الهند والصين لاكتظاظهما بالسكان ولمجاورتهما لمنطقة الهارتلاند. ومن هنا تتضح المنطقة التي ارتكز عليها سبيكمان في تحليله، وهي حافة الأرض.

لقد اقترح سبيكمان فكرة الإطار القاري الريملاند، والذي يضم من وجهة نظره أكثرية سكان العالم، فهو يشمل كل من أوروبا —ما عدا روسيا- وآسيا الصغرى والجزيرة العربية وإيران وأفغانستان وجنوب شرق آسيا وجزء كبير من الصين وكوريا وشرق سيبيريا، حيث توصل بعد هذا التحديد الجغرافي للمنطقة الأكثر حيوية في العالم من خلال اقتراح المعادلة التالية:

1. أن من يتحكم في الإطار القاري يستطيع أن يسيطر على منطقة أوراسيا.
2. وان من يسيطر على أوراسي يسيطر على العالم ككل، ويقبض مصير العالم.

وقد اعتبر سبيكمان الريملاند بمثابة منطقة حاجز تفصل بين القوى المتصارعة البرية و البحرية في زمن السلم. كما تعتبر منطقة التقاء وتصادم بين القوى البحرية في زمن الحرب. كما اهتم سبيكمان بهذه الحلقة الوسطى وأعطاها أهمية أكبر من قلب الأرض، ويرجع ذلك إلى أن النطاق الارتطامي يضم عددا

ضخما منسكان العالم، وأنه يمتاز بموارده الاقتصادية والطبيعية الغنية المتنوعة، علاوة على استخدامه لطرق بحرية داخلية.

3- نظرية القوة البحرية (ألفريد ماهان 1917/1840).

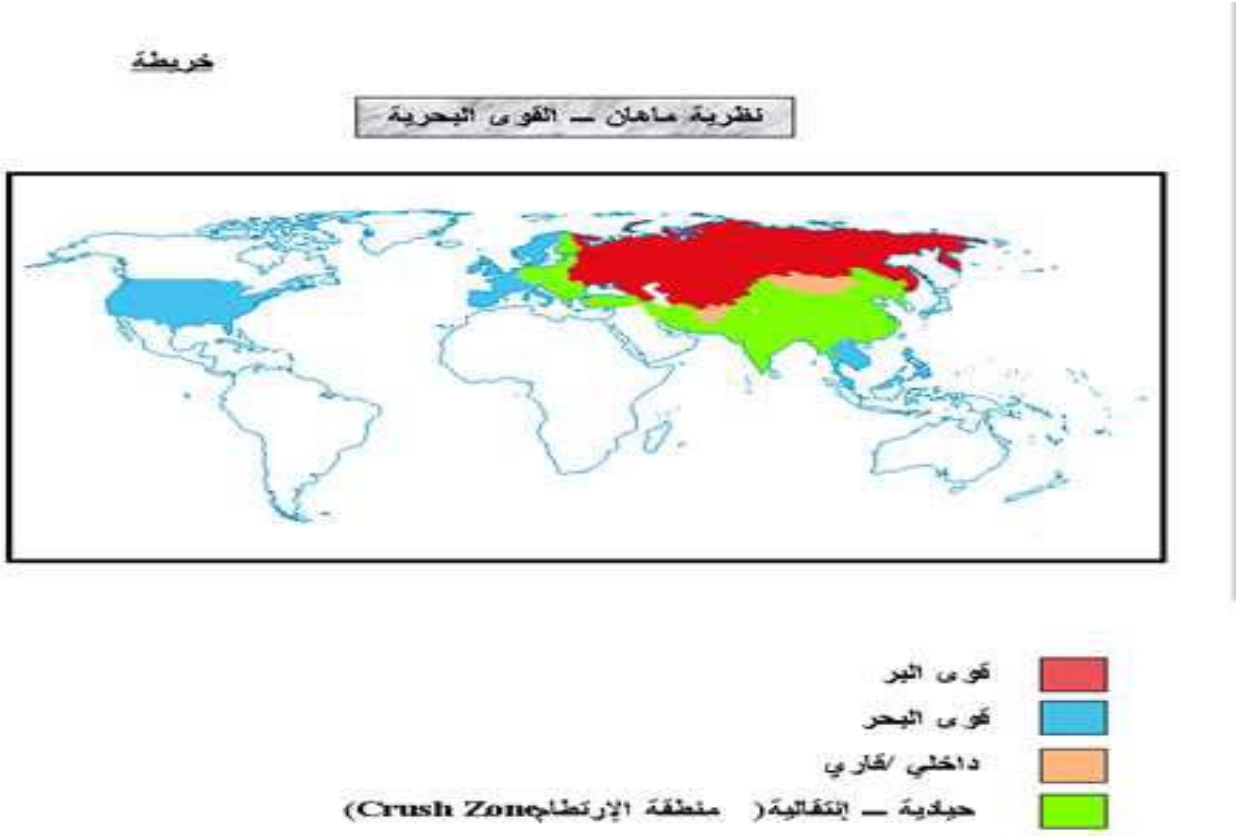

نظرية ماهان . القوى البحرية

طور ماهان الفكر الجيوسياسي القائم على الاهتمام بالقوة البحرية، من خلال مجموعة من المؤلفات، ومنها: كتاب تأثير القوة البحرية على التاريخ، الإدارة البحرية والحرب: بعض المبادئ العامة، القوة البحرية وعلاقاتها بالحرب.... حيث بادر للدفاع عن فكرة مفادها أن الهيمنة العالمية للقوة البحرية يمكن الحفاظ عليها ببسط السيطرة على مجموعة نقاط ارتكاز حول قارة آسيا، وتتلخص الاهداف الاستراتيجية لهذه الفكرة في إمكانية هيمنة القوة البحرية بغلق الممرات والمنافذ البحرية للقوى القارية. وهنا يكمن مصدر نظرية الاحتواء المطبقة أثناء الحرب الباردة.

لقد ركز ماهان على أهمية الموقع البحري ودوره في تاريخ الدولة، فرأى ان العامل الجغرافي الرئيس للقوة الذاتية لأي دولة ليست في مساحتها الكبيرة بالأميال المربعة او بالكيلومترات المربعة، بقدر ما هو طول

خطوط سواحلها وطبيعة موانئها، إذ ان المعنى الذي قصده ماهان بالقوة البحرية هو الأسطول البحري مع القوة العسكرية التي يمكنه نقلها بالبحر إلى المكان المطلوب، فهو يرى أن التحكم بالبحار يعني التحكم بالقواعد البحرية التي تتميز بالمواقع الاستراتيجية المتحكمة بالنقل البحري، وكذلك القواعد البحرية المحمية بأشكال السواحل من جهة وعمق الخلفية الأرضية من جهة أخرى.

ويشير ماهان إلى أن القوة البحرية كانت أساس قوة الدولة، وأن الدولة التي تسيطر على أعالي البحار كما فعلت بريطانيا بإمكانها ان تسيطر على العلاقات الدولية، كما يرى أن التحكم في البحر ضرورة أولية وأساسية للسيادة العالمية، وأنه ما من دولة تستطيع أن تكون قوة برية ودولة عظمى في آن واحد لأن مشكلات الدفاع عن الحدود البرية في الدول القارية المتنافسة من شانها أن تمتص وتستنزف هذه القوى وتحول دون سيادتها على البحار. ومن تمة يؤكد ألفريد ماهان على أن قيام قوة بحرية في أية دولة يتطلب توفر الشروط التالية:

1. **الموقع الجغرافي للدولة:** ويعني به الموقع البحري، فيما إذا كانت تطل على بحر واحد أو أكثر، كما يؤخذ بعين الاعتبار صلاحية هذه البحار للفعاليات الملاحية وسهولة اتصالها ببعضها وبأعالي البحار، ويشترط في الموقع البحري تمكين الدولة من السيطرة على الطرق التجارية الهامة والتحكم في مواقع وقواعد الاسواق حتى تستطيع التصدي لعدو منتظر قد يهدد نطاقها الإقليمي.
2. **طبيعة سواحل الدولة:** بالنظر إلى نوعيتها وصلاحيتها لإنشاء الموانئ.
3. **صفات ظهير الساحل:** يقصد بها الأراضي التي تقع خلف خط الساحل للدولة، فيما إذا كانت واسعة وتتمتع بثروات طبيعية وفيرة تكفي لسد حاجات السكان، وتصبح عامل جذب لهم نحو الداخل بدل التوجه الجغرافي نحو البحر، مثل فرنسا التي تطل على ثلاث وجهات (المتوسط، الأطلسي وبحر الشمال) إلا أنها ليست بحرية لأن ثرواتها جدبت السكان للانشغال في البر بدل البحر كسبا للعيش.

4. **مساحة الدول وعدد سكانها:** المساحة الواسعة للدولة التي تطل على أكثر من بحر واحد مع سواحل طويلة وصالحة للملاحة البحرية والثروات الطبيعية والكثافة السكانية كقوة بشرية تساعد على بناء الأساطيل البحرية.
5. **الخصائص القومية لسكان الدولة:** فبناء أي قوة بحرية يتوقف على رغبة السكان وميلهم لركوب البحر، وهذا شرط لقيام التجارة البحرية ولبناء القوة البحرية.
6. **توجيه السلطة الحاكمة:** أي رغبتها في التوجه نحو البحر لخلق قوة بحرية، من خلال توفير كافة الظروف الطبيعية، إلى جانب الخصائص الاجتماعية التي يتميز بها السكان.

4- **نظرية المساحة الوسطية – رقعة الشطرنج الكبرى (زبغينيو بريجنسكي 2017/1982).**

الشكل الرقم (1)

خريطة رقعة الشطرنج الكبرى عند بريجنسكي

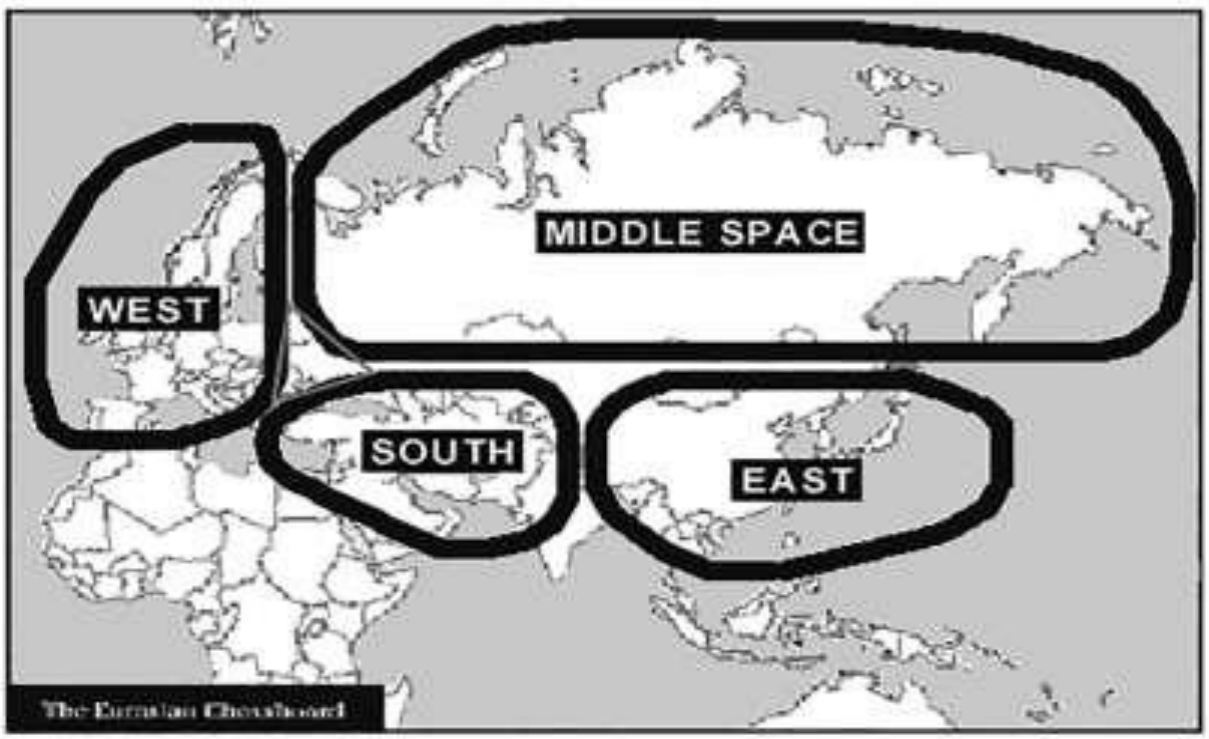

مع انهيار الاتحاد السوفياتي الذي كان يشكل قلب العالم في الفكر الجيوبوليتيكي، جاءت محاولات مراجعة التصورات الجيوسياسية القديمة للعالم مع التركيز على أمريكا الشمالية واستمرارية تقسيم الهلال الداخلي "الريملاند"، وزوال الأهمية المحلية للاستراتيجية بسبب التكنولوجيا ووعي بعض الخبراء الأمريكيين للتفوق العسكري للولايات المتحدة، إضافة إلى التفوق الاقتصادي والمالي وتطور منظومة الاتصالات في

هذه الدولة وهي متغيرات لا تقل اهمية عن المتغير العسكري ومن أبرز الجيوبوليتكيين الأمريكيين لمرحلة ما بعد الحرب الباردة هو بريجنسكي زبغنيو.

بعد أن كرس مشواره العلمي في دراسة الديكتاتورية السوفياتية، وفي تأسيس رؤية جيواستراتيجية حول الدور المحوري للولايات المتحدة الامريكية في العالم، حيث كان بريجنسكي مقربا جدا من الإدارة التنفيذية الأمريكية، أين كان مستشارا للأمن القومي للرئيس الأمريكي جيمي كارتر خلال الفترة 1977-1981، ومستشارا في مجلس العلاقات الخارجية، وأدار العديد من مراكز التفكير والتنظيمات المتخصصة في الشؤون الدفاعية والسياسة الخارجية. كما كان قريبا من جورج بوش الأب، كما قدم نصائح لباراك أوباما في الشؤون الخارجية خلال حملته الانتخابية، لذلك كان مؤلفه رقعة الشطرنج الكبرى بمثابة اختبار حقيق للجيوبوليتيك العالمية، ومرجعا أساسيا لرؤساء الولايات المتحدة على مر الزمن.

قدم مؤلفه "رقعة الشطرنج الكبرى: السيطرة الأمريكية وما يترتب عليها جيواستراتيجيا، تصورا مثيرا عن استمرارية التفوق الأمريكي في القرن 21، ويتركز تحليله على ممارسة السيطرة في أوراسيا معتبرا هذه المنطقة تضم أكبر عدد من سكان العالم، وتتمتع بوفرة الموارد الطبيعية والنشاط الاقتصادي إلى جانب القوة النووية، وهي بذلك رقعة شطرنج الجيوبوليتيكية التي يجب أن تحافظ عليها الولايات المتحدة. حيث يمثل الكتاب عرضا حاسما واضحا ومعمقا عن المصالح الاستراتيجية لأمريكا في عالم ما بعد الحرب الباردة.

أشار بريجنسكي إلى أن أوراسيا منذ ما يقرب من 500 عام، أي منذ أن بدأت القارات تتفاعل سياسيا فيما بينها هي "مركز القوة العالمية" بطرق مختلفة وفي أزمنة مختلفة، وقد استطاعت الشعوب التب سكنت أوراسيا اختراق مناطق أخرى من العالم واخضاعها لسيطرتها، ولكن في العقد الأخير من ق 20 حدث تغير حاد في الشؤون العالمية، فلأول مرة تظهر دولة غير أوراسية كقوة عظمى في العالم بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، لتصبح الولايات المتحدة القوة الوحيدة والعالمية لأول مرة.

ومع ذلك لا يقلل بريجنسكي من أوراسيا التي حسبه لا تزال محتفظة بأهميتها الجيوبوليتيكية. فأوراسيا لا تتمثل في محيطها الغربي فقط –أوروبا- والتي لا تزال مركز للكثير من القوى السياسية والاقتصادية في

العالم لاسيما في منطقتها الشرقية–آسيا– التي أصبحت مركزا حيويا للنمو الاقتصادي والنفوذ السياسي المتعاظم، وبالتالي فإن نجاح الولايات المتحدة ذات النشاط العالمي في التعامل القوة الأوراسية المعقدة، خاصة قدرتها على ان تمنع ظهور قوة أوراسية مسيطرة او معادية هو عامل رئيسي يحدد قدرتها على ممارسة السيادة العالمية.

لقد ركز بريجنسكي في الفصل ال 2 من كتابه على ما أسماه رقعة الشطرنج الأوراسية، حيث اعتبر أن اوراسيا هي الجائزة الجيوبوليتيكية الرئيسية لأمريكا. منذ 500 عام كانت شؤون العالم تسير من طرف القوى والشعوب التي حاربت إحداها الأخرى من أجل السيطرة الإقليمية وسعى كل منها إلى بسط سلطته العالمية، أما الآن فثمة قوة غير أوراسية تبرز في أوراسيا، واعتبر بريجنسكي أن السيطرة العالمية لأمريكا تعتمد بشكل مباشر على المدى الزمني والمدى الفعال لاستمرار هذه السيطرة والتفوق الأمريكي على القارة الأوراسية، وأن الإدارة الامريكية لأوراسيا هي أمر معقد، فأوراسيا هي أكبر قارات العالم وهي محور العالم جغرافيا، والقوة التي سوف تسيطر على أوراسيا سوف تسيطر على اثنين من مناطق العالم الأكثر تقدما والأكثر انتاجا على الصعيد الاقتصادي، لأن السيطرة على أوراسيا سوف تستوجب تبعية إفريقيا، مما يجعل نصف الكرة الغربي وأوقيانوسيا ففي وضع هامشي بالنسبة للقارة الرئيسية في العالم، فنسبة 75% من سكان العالم يعيشون في أوراسيا، وتقدم 60% من إجمالي الدخل القومي السنوي في العالم، كما أن مصادر الطاقة فيها تساوي ثلاثة أرباع موارد الطاقة الإجمالية المعروفة في العالم. كما يظهر في أوراسيا أقوى ستة اقتصايات وأكثر ستة دول انفاقا على التسلح العسكري.

تحدث بريجنسكي عن العالم الإسلامي والصين، ورأى أن التحدي الممكن للسيادة الأمريكية الذي تشكله الأصولية الإسلامية يمكن ان يكون جزء من المشكلة في هذه المنطقة غير المستقرة من العالم، وهكذا تستطيع الأصولية الإسلامية باستغلالها حسبه للعداء الديني لطريقة الحياة الأمريكية والاستفادة من النزاع العربي الإسرائيلي أن تسقط عدة حكومات شرق أوسطية مؤيدة للغرب، وتشكل خطرا في نهاية المطاف على المصالح الإقليمية الأمريكية وخاصة منطقة الخليج العربي، ومهما يكن الأمر فما لم يتوفر تماسك سياسي، مع عدم وجود دولة إسلامية واحدة قوية فعلا، فإن التحدي الذي تشكله

الأصولية الإسلامية سوف يفتقر إلى قلب جيوبوليتيكي، وبالتالي سوف يزيد احتمال تعبيره عن ذاته عبر نشر الإرهاب.

وبالنسبة للصين وظهورها كقوة جيواستراتيجية فالنتيجة المهمة بالنسبة إليه تأتي من اختيار الصين بعد تحولها إلى النظام الديمقراطي والسوق الحرة الدخول إلى إطار تعاون إقليمي آسيوي أكبر، ولكن يفترض بريجنسكي أنه في حالة لم تتحول الصين إلى دولة ديمقراطية وفي نفس الوقت استمرت قوتها الاقتصادية والعسكرية في النمو، يمكن عندئذ أن تظهر الصين العظمى بغض النظر عن رغبات وحسابات جيرانها، وأي جهد يهدف إلى الحد منها قد يؤدي إلى نزاع حاد معها. وأن مثل هذا النزاع يمكن أن يخلق التوتر في العلاقات الأمريكية اليابانية، لأنه لا يمكن الجزم بأن اليابان سوف تقبل السير على خطى أمريكا في احتواء الصين، ما يؤدي في الأخير إلى إنهاء الوجود الأمريكي في الشرق الأقصى.

كما برزت تصورات جيوسياسية أخرى بعد نهاية الحرب الباردة مثلها فرانسيس فوكوياما، وصامويل هنتغتون.

بالنسبة لفوكوياما فقد أكد في كتابه نهاية التاريخ والرجل الأخير على شرعية الديمقراطية الليبرالية كنظام للحكم بعد أن لحقت الهزيمة حسبه بالإيديولوجيات المنافسة مثل الملكية الوراثية والفاشية والشيوعية في الفترة الأخيرة، وهي الأفكار التي وردت مسبقافي مقال "هل هي نهاية التاريخ؟" وقد أضاف فوكوياما أن الديمقراطية الموجودة في عدد من دول العالم مثل الولايات المتحدة الأمريكية وفي فرنسا وسويسرا تمثل نقطة النهاية في التطور الإيديولوجي للإنسانية، وقد أشار فوكوياما إلى أنه في الربع الأخير من القرن العشرين شهدت العديد من انظمة العالم الديكتاتورية من أمريكا اللاتينية إلى شرق أوروبا، ومن الاتحاد السوفياتي إلى الشرق الأوسط وآسيا العديد من أوجه الضعف أدت إلى إسقاط هذه الحكومات في النهاية. وعليه فالعالم حسب وجهة نظره قسم إلى دول ديكتاتورية وهي في تراجع أمام الثورة الليبرالية، ودول ديمقراطية ليبرالية وعددهم في تزايد.

في حين اعتبر **صامويل هنتنغتون** أن البعد الرئيسي والأكثر خطورة في السياسة الكونية الناشئة، سيكون الصدام بين جماعات من حضارات مختلفة مؤكدا أن صدام الحضارات هو الخطر الأكثر تهديدا للسلام العالمي، وأن نظاما عالميا يقوم على الحضارات هو الضمان الأكيد ضد حرب عالمية.

وقد ربط هنتنغتون بين جغرافية الحضارات ومتغير القوة من خلال دراسته للبنية السياسية. فعالم ما بعد الحرب الباردة حسبه متعدد الأقطاب ومتعدد الحضارات، وأن الثقافة والهويات الثقافي، هي التي تشكل أنماط التماسك والتفسخ والصراع في هذا العالم، وفي ربطه بين جغرافية الحضارات ومتغير القوة أشار هنتنغتون إلى أن ميزان القوى بين الحضارات يتغير: فالغرب يتدهور في تأثيره النسبي، والحضارات الآسيوية تبسط قوتها الاقتصادية والعسكرية والسياسية، والإسلام ينفجر سكانيا مع ما ينتج عن ذلك من عدم استقرار للدول الاسلامية وجيرانها. كما اعتبر أن الحضارتين الصينية والاسلامية هي اخطر الحضارات على الغرب الذي يسعى للعالمية، وهو ما يضعه في صراع معهم.